

تهنئة التحرير

وما زال بخيب محفوظ يعلمنا

حمل الأمانة.. والقناعة، والأميرة ذات الهممة

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD171012.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2012/10/17

السنة الخامسة - العدد: 1874



عودة إلى كراسات التدريب التي كان نجيب محفوظ يدرب فيها يده في محاولة صناعة معجزة الكتابة من جديد. وصلت إلى الصفحة 97 وما زال أمامي بضع مئات، وجدت اليوم أن الصفحة رقم 81 (مثل كل الصفحات) فيها ما يستأهل التوقف والنظر، فالإفادة والعمل، فأقتطف مما كتب، فكتبتُ على ماكتب، مايلي:

أولاً: نص ما سطر يوم 22 أبريل 1995

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

نجيب محفوظ

أم كلثوم نجيب محفوظ

فاطمة نجيب محفوظ

عرض الله الامانة على السموات والأرض

القناعة كنز لا يفنى

الأميرة ذات الهممة

البحر الأبيض والبحر الأحمر

نجيب محفوظ

22 ابريل 1995

ثانياً: مقتطفات من قراءتي :

"...ما وصلني هو أن شيخي لا يخاف من الشيطان الرجيم، ليس لأنه تحصن ضده، ولكن لأنه صاحب ربه فاطمأن إلى رحمته وقدرته في آن، هذه الاستعاذة هي جارية ضمناً من خلال هذه الصداقة الوثيقة، والرضا المتبادل...""... (أما) البسمة فهي التحية الواجبة لاستحضار كل ما يليها في رحاب الله حتى قبل كتابة اسمه واسمى كريمته!!"

ثم كتبتُ أنا عن عرض الأمانة وحملها:

"... في صفحة التدريب رقم (38) بتاريخ: 6-3-1995 كتب شيخي "حمل الانسان الأمانة" أما هنا، فالأستاذ يتناول "عرض الأمانة" وليس حملها. في قراءتي لتلك الصفحة قلت: ... يبدو أنه أوجز خلاصة ما وصله (من الآية) وكأنه يعيد النظر في هذا التصدي الذي قام به "الإنسان" مبادراً، حين عرض ربنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، وحملها الإنسان.... (إنا عرضنا الأمانة على السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (الآية: 72 سورة الأحزاب)، أما في الصفحة الحالية فقد ركز الأستاذ على عملية "العرض" دون تصدي الإنسان "حملها"، وقد عرضت لتفسير الأمانة: من أول "حق الله على عباده" وحتى "التوحيد" (أحد عشر احتمالاً). حين يكتب الأستاذ باكراً "حمل الإنسان الأمانة" صفحة التدريب 38 ثم يكتب هنا صفحة 81 - أي بعد حوالي خمسين صفحة عن عملية عرض الأمانة- يتعمق لدينا مغزى العمليتين المتكاملتين المنفصلتين بالزمن السرمدى المحتمل بين العرض (الذي جاء في هذه الصفحة)، وبين تصدي الإنسان للحمل، بدون عرض عليه

بالذات، وفي هذا القلب الجميل لتسلسل الزمن ما يؤكد لنا حضور عبء حمل الأمانة المستمر طول الوقت قبل فكرة ظهور العرض في وعى الأستاذ على هذه المساحة الرحبة.

ما بقى لدينا من جديد في هذه الصفحة هو ثلاث عبارات وصلتني بلا رابط ظاهر:

أولاً: القناعة كنز لا يفنى

"....القناعة لا تكون كنزاً لمن لا يملك إلا القناعة. لكي تفخر بقناعتك لابد أن تختبر قدراتك أولاً، هل حقاً أنت "تستطيع" ثم "تتوقف"، وتفتن؟ أم أنك تفتن استسهالاً أو عجزاً؟ مثلاً: شىء كان قادراً أن يقتني سيارة وسائقاً خاصاً، وقد كان من أحوج الناس إليهما في الفترة الأخيرة، لكنه لم يفعل، والشقة المتواضعة التي كان يقطنها وهي التي عرفته فيها، كان قانعاً بها وكأنها قصر الرئاسة... الخ، لكنه لم يكن قانعاً بأى مستوى يصل إليه إبداعه، ونقلاته النوعية من مرحلة إلى مرحلة...، هذا نوع آخر يرفض قناعة أخرى ليست الكنز الذي قصده شىء هنا، كان شيخنا يفاجئنا دائماً وربما يفاجئ نفسه بهذا الإبداع المتجدد شكلاً وموضوعاً، ويكفي اختراقه أولاد حارتنا بلمحة الحرافيش، ثم هذه الصورة العبقريّة التي تجرّت في "أصداء السيرة" لتكتمل "بأحلام فترة النقاة...".

ثانياً: الأميرة ذات الهمة

".... الأميرة ذات الهمة هي مثال المرأة المناضلة والبطلة التي تصدّت لحملات البيزنطية دفاعاً عن العرض والأرض والشرف والكرامة...، هذه الأميرة العربية الفلسطينية تعتبر سيرتها الشعبية أكبر وأطول وأضخم سيرة شعبية في تاريخ البشرية، مخطوط هذه السيرة الشعبية الفلسطينية كان موجوداً في مدينة برلين وكان الألمان في الحرب العالمية الثانية يقومون بنقل هذا المخطوط مع عدد من المخطوطات النفيسة الأخرى من مدينة إلى مدينة خوفاً عليها من قصف الحلفاء

".... كان ميلاد الأميرة فاطمة ذات الهمة ونشأتها في وقت كانت فيه الأمة العربية والإسلامية تتصدى للعدوان على أطرافها.... ولقد شاركت فاطمة مع قبيلتها في القتال الدائر وفي التصدي للهجمات المعادية التي تستهدف أمتها وبرزت فاطمة همة وشجاعة نادرين في القتال ولذلك أطلق عليها لقب "ذات الهمة".... ويقال إن الأميرة... قد قادت جيشاً عربياً وصل إلى مالطة والقسطنطينية". يا ترى: ما الذي جاء بطيف هذه الأميرة في وعى شىء حتى يثبتها في هذه الصفحة هكذا؟ أنا لا أستبعد أمرين على طرفي نقيض ظاهراً، لكنهما متكاملان من عمق معين: **الأول**: أنه سمع "حوتها" طفلاً ووصله منها ما يصل الأطفال من بطولة أنثوية، وفروسية أنثوية، وبساللة أنثوية، وظل ذلك كامناً حتى ظهر اليوم على سطح وعيه مع بعض طفولته الحرة وهو يتدرب على الكتابة من جديد. **أما الثاني**: فهو أنه، وهو الذي همّ على فلسطين لا يخف ولا يخفت مع ما يصله من أنباء عن ما يلحقهم من قهر وإذلال، قد قفزت إليه سيرة هذه الفارسة البطل فشعر كم نحتاج جميعاً رجالاً ونساءً، كباراً وأطفالاً لمثلها الآن. ولعله كان يتساءل في داخله وخارجه: أين نحن الآن من بطولة هذه الأميرة؟ فحضرت شخصياً، في حركية وعيه ليقفز اسمها إلى صفحة تربيته، وهأنذا أحمل رسالته إلى نساتنا وأطفالنا جميعاً قبل رجالنا!!، سمعاً وطاعة يا شيخنا! (وشاء الله ياعمى الدكتور مرسى !!) الأمر الذي تعجبت له وأنا أقرأ موجز سيرة هذه الأميرة هو كيف أن حجم مخطوط تلك السيرة الشعبية يبلغ ثلاثين ألف صفحة ونحن لا نهمل منه لا أطفالاً ولا كباراً ما يليق وما ينعف،...

ثالثاً: البحر الأبيض والبحر الأحمر

"... حين قرأت هذه الكلمات الأربع قفزت إلى "مصر" قبل أن تقفز قناة السويس، أظن أن مصر تقع في حضن هذين البحرين (قبل و..) أكثر من أن قناة السويس تربط بينهما، ولا أريد أن أزيد الآن، كما أنني أعتقد أنه سيعود إلى ذكرهما في صفحة لاحقة. وإن عاد عدت، وعدنا.

*** **

وحدة الدراسة والبحث في الإنسان والتطور